

دنقلا العجوز اليوم

تقع دنقلا العجوز على بعد 350 كيلومتراً شمال الخرطوم في الولاية الشمالية لجمهورية السودان، وتُعد من أهم مكونات التراث القومي في السودان. وعلى الرغم من أن أهميتها التاريخية والأثرية معروفة معرفة جيدة، إلا أن أحد الجوانب البارزة هو الارتباط الوثيق بأنماط حياة المجتمعات المحيطة والعادات والتقاليد والمعتقدات وروابط الأسلاف (الأجداد).

ترقد دنقلا العجوز على الضفة اليمنى لنهر النيل عند الطرف الجنوبي لحوض لتي. وتُعتبر هذه المنطقة التي تقع حول مُنحى الدبة موضع استراتيجي في وادي النيل الأوسط كنقطة عبور للطريق الصحراوية والوادي العريض حيث يوفر الحوض أراض خصبة. واليوم تجاور الموقع بعض القرى من بينها الغدار من الشمال وبكبول من الجنوب. تُحافظ هذه القرى على الممارسات الثقافية والمهارات والمعرفة المرتبطة بتلك الموجودة في دنقلا العجوز. ينحدر بعض سُكّان القرى المجاورة من نسل مباشر لأولئك الذين عاشوا في دنقلا العجوز أيضاً.

هذا وتعتبر الغدار مركزاً إدارياً محلياً يتكون من 10 قرى (وُحدة دنقلا العجوز)، ويوجد بها مكاتب حكومية، سوق، مستشفى صغير، أندية اجتماعية، و4 مدارس ابتدائية ومدرستين ثانويتين. كما نجد من بين سُكّان الغدار، البالغ عددهم 2000 نسمة، خليط من القبائل العربية والنوبية. وفي المنطقة المحلية لا يزال البعض يتحدث لغة الأنداندي (لغة نوبية). أما بكبول فهي قرية اسمها مشتق من كلمة بوكي-بو في لغة الأنداندي النوبية وتعني المخفي أو المستتر. وبحسب الروايات المتوارثة شفهيّاً، هي قرية جديدة نسبياً تشكّلت عام 1944

بعد رحيل سُكَّان حلة دنقلا (أحدث منطقة سكنية مأهولة بالسُّكَّان في دنقلا العجوز)، وتسكنها في الغالب قبائل عربية (الكبابيش والبديرية).

اليوم، نجد أطلال القرية المهجورة هادئة في الغالب، باستثناء بعض الزُّوَّار القادمين للموقع والسُّكَّان المحليين الذين يتجمعون في المقابر لحضور مراسم الدفن. ومنذ نزوح سُكَّان القرية، الواقعة في الجزء الجنوبي الغربي من مدينة دنقلا العجوز الحالية، لم يعد أحد يسكن في الموقع. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا لا يعني أن المكان معزول تماماً عن الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية الحديثة. ولم تنقطع الصلة بين المكان التاريخي والمجتمعات بل على العكس من ذلك، فإن قِيَمها الروحية والمتوارثة تمثّل أهمية قصوى.



خريطة للمناطق المتاخمة لدنقلا العجوز.
(خريطة: ت. فوشيه)

بعد سقوط مملكة المقرّة، ظلت دنقلا العجوز مركزاً إقليمياً هاماً (مدينة -دولة) حيث وُلد فيها العديد من مشاهير رجال الدين الإسلامي (الفُقراء، الشيوخ) الذين عاشوا ودُفِنوا هناك. يعود الاتصال (الاحتكاك) الأوّل بين النوبيين والإسلام إلى عهد الفتوحات الإسلامية المُبكّرة، عندما وقّع الجيش العربي والنوبيون، بعد حرب غير حاسمة، اتفاقية سلام سنة 651 م (31 هـ) - معاهدة البقط- وقرروا تبادل البضائع مرة واحدة في السنة. جلبت هذه المعاهدة السلام لمملكتي المقرّة وعلوه النوبيتين على مدى 400 عام. غير أنه كانت هناك بعض الأعمال العدائية بين مصر والنوبة - على سبيل المثال، الغزو النوبي لمصر من قبل ملك المقرّة كرياقوس (كرياقوس) بصحبة جيش جرّار من فرسان الإبل والخيول في القرن الثامن الميلادي (القرن الثاني الهجري). وصل كرياقوس (كرياقوس) إلى مشارف القاهرة قبل أن تتم عملية وساطة للسلام. ويُقال إنّ أقدم مسجد معروف قام ببنائه غلام الله بن عايد الركابي في القرن الرابع عشر الميلادي في دنقلا (المنطقة الواقعة بين الشلالين الثالث والرابع). وقد اشتهر الشيخ غلام الله بتعاليمه الإسلامية، حيث أسس خلوةً في دنقلا العجوز. إلا أن هذا لا يُشير إلى الوقت الذي وصل فيه الإسلام إلى النوبة. تسلسل الإسلام رويداً رويداً إلى النوبة، وتظهر أقدم شواهد القبور الإسلامية في شمال النوبة وخور نبت في الصحراء الشرقية في وقت مُبكر من القرن الثامن الميلادي (القرن الثاني الهجري).

العديد من المباني والآثار المحفوظة في موقع دنقلا العجوز لها أهمية خاصة بالنسبة للسكّان المسلمين المحليين والسودانيين. ويعتبر المسجد أكثرها تميّزاً. وعلى نتوء من الحجر الرملي، يلتفت المبنى المُكوّن من طابقين انتباه جميع زوّار دنقلا العجوز. وهو أقدم مسجد قائم في السودان. وقد تم تشييد المبنى في بادئ الأمر ككنيسة في القرن التاسع الميلادي وتم تزيينه برسوم جدارية. وتم تحويل الطابق الأوّل إلى مسجد وأُستخدم كمكان للعبادة للمسلمين حتى عام 1969. وقد كان تغيير استخدام المبنى بمثابة تحوّل سياسي كبير في المنطقة. وبعد عقود من النزاعات مع مصر (المماليك)، ضعفت المملكة وأصابها الوهن. وفي عام 1365 م، قرر ملك المقرّة هجر العاصمة ونقلها إلى مكان يُدعى ضو ويُعرف بجبل عدا (النوبة السفلى). تخبرنا النقوش على اللوحة الحجرية (حجر الأساس) الموضوعة بجوار المحراب في



حلة دنقلا، ما تسمى «القرية المهجورة». (تصوير: ت. فوشيه)





منازل في الجزء الشرقي للغدار، في الخلفية جبل الغدار. (تصوير: ت. فوشيه)



الطابق الأول من المبنى أن التحوّل من كنيسة إلى مسجد حدث عام 1317م (717 هـ)، وشهد عليه المدعو كنز الدولة للولاية. وقد كان المبنى الوحيد الذي تم استخدامه باستمرار منذ إنشائه في أوائل القرن التاسع حتى إغلاقه في عام 1969. وكان آخر إمام لهذا المسجد هو حسين ساتي محمد.

بعد تحويل المبنى إلى مسجد، تم تغيير الجزء الداخلي لاحتواء مكان جديد للعبادة. وعلى الرغم من التحوّل من كنيسة إلى مسجد، إلا أنه لم يتم تحطيم الرسوم الجدارية المسيحية، بل تم لصقها، كما لو كانت الوظيفة السابقة للمبنى ككنيسة قد تم التعامل معها باحترام. وقد قام الشيخ ساتي محمد عيسى سوار الذهب بعملية ترميم كبيرة للمبنى في أواخر القرن الثامن عشر. وكثيراً ما يقوم السُكّان المحليون بزيارة مكان مدفنه. وتمكنت ذريته من القيام بدور شيخ دنقلا العجوز وما زالوا يعيشون في الغدار ويعتنون بضريحه. وفي ظل إدارة الحكم الثنائي الإنجليزي المصري، تم ترميم الأسقف عدة مرات خلال الفترة من عام 1927 إلى عام 1955.

هذا ويعود أهالي الغدار وبكبول إلى المسجد في مناسبات صلاة العيد والمولد النبوي والأعياد الإسلامية، حيث يجتمع الناس أسفل المسجد لأداء صلاة الجماعة. ويُعتبر مسجد دنقلا العجوز رمزاً للمجتمعات المحلية. كما أنه مصدر إلهام وفخر وإعزاز مثلما هو بالنسبة للمعلم والفنان المتقاعد ساتي محمد أحمد.

لا يوجد مكان آخر غير دنقلا العجوز يمكننا أن نجد فيه الكثير من القباب المحفوظة في مكان واحد في وادي النيل بأكمله. وتُشير الروايات الشفهية المحلية إلى أن هناك 99 قبة للشيوخ، حيث يحظون بالاحترام محلياً على أنهم «إصلاحيو دنقلا». على الرغم من أن الأضرحة الصوفية معروفة في أجزاء أخرى من العالم الإسلامي، إلا أن القبر القبائي هو عبارة عن صرح معماري جنائزي مُميّز في منطقة النيل الأوسط. وعندما يكون المرء مسافراً عبر القرى في شمال السودان، سيصادف قبة أو اثنتين في وسط المقابر. ما زالت هناك 19 قبة قائمة حتى يومنا هذا في مقابر واحدة وهي سمة لافتة للنظر لدنقلا العجوز.

وقد كان يتم تشييد هذا النوع من القبور الضخمة لرجل دين إسلامي (شيخ، فكي) - من أولئك الذين جلبوا المعرفة بالإسلام والزعماء الروحيين المحليين وأساتذة الصوفية. من المسلم به أن مجموعة القباب في دنقلا العجوز تعود لأسلاف عائلات معروفة في هذه المنطقة. ومن الملاحظ اليوم أن الكثيرين من سُكَّان الغدار مرتبطون بالعديد من رجال الدين الذين دُفِنوا في المقابر. يزور السُّكَّان المحليون القبور - لا سيما الرجال في صلاة العيد، والنساء في ثاني أيام العيد - من قبيل الاحترام والحفاظ على علاقة مُقدَّسة مع المؤمنين.

لوحة المسجد التي وهبها فنان محلي للفريق
الآثاري، ساتي محمد أحمد.



المسجد وهو في الأصل بُني كنيسة (تصوير: ز. دلينسكي)



ترميم المسجد في عام 1907 واسما العمال دونت
على ألواح حجرية (تصوير: ز. دولنسي)

وينعكس المعنى المُقدَّس للقبة أيضاً في ممارسة الطقوس. المقابر، وخاصة تلك التي تخص الشيخ سوار الذهب والشيخ عووضه القارح والشيخ زياد، يزورها السُّكَّان المحليون بشكل احتفالي حيث يأتون طلباً للبركة في مسائل شخصية مثل الزواج والحمل والوضع والشفاء من المرض. وتصف عبير بابكر عملية طقسية خاصة، تُسمى النذر أو الزوارة، كانت تنتقل عن طريق الجدات يبدأ الطقس بالوضوء:(الحبّوبات) في عائلتها ثم تصلي 10 مرات قبل أن تزور القبة، تخلع أحذيتها ثم تدخل القبة وتقرب من قبر الشيخ المُغطى بقطعة قماش خضراء، وتمسك ببعض الرمل من الذي يُوجد تحت القماش وتمسح به على رقبته (ورقبة طفلها إذا كان معها). وتأخذ مزيداً من الرمل لتتقاسمه مع أفراد أسرته في المنزل وتحتفظ ببعض الرمل المبارك. وعندما تتحقق الأمنية، تعود إلى القبة. وبينما هي تشكر الشيوخ بقولها «سآتي لزيارتكم وسأقوم بنشر الحبوب (العيش) لطيوركم»، تنشر بذور الدخن فوق قبر المشايخ ثم تقدم الحلوى للناس في جميع أنحاء الموقع.

المقابر الإسلامية في دنقلا العجوز هي مدافن للسُّكَّان المحليين، وهي ذات أهمية خاصة للسُّكَّان السابقين، في حلة دنقلا (ما يُسمى بالقرية المهجورة)، الذين يعيشون في الغدار وبكبول والبالجا (غرب النهر) وغيرها من القرى المجاورة الحالية. هناك قصص ورغبات

(أمنيات) شخصية تُروى وتتناقل في المجتمعات المحلية حول مدى أهمية أن يتم دفنهم في هذه المقابر، حيث تم دفن أجدادهم وشيوخهم الشهير. ويعتبر هذا المكان هو مكان الدفن على وجه الخصوص بالنسبة لأفراد الأسرة الذين توجد قبة أجدادهم في دنقلا العجوز. وتظل هذه الرغبة، في اختيار هذه المقابر المحددة كمكان للراحة الأبدية، باقية حتى عندما ينتقل الفرد من القرية للعيش في مكان آخر. تحدثت امرأة محلية عن قصة أخت بابتكر خليفة، التي عندما تُوفيت دُفنت في الغابة (قرية على الجانب الآخر للنيل من دنقلا العجوز). وفي ليلة اليوم الـ 14 عندما جاء الناس لزيارة عائلة المتوفاة، ظهرت في حلم عائلتها (بانت لهم في المنام) وقالت لهم «قوموا بزيارة قبري في دنقلا العجوز، ولا تزورني في الغابة، وأشارت إلى قبرها في دنقلا العجوز.

بغض النظر عن روابط الأجداد والروابط الروحية، فإن التقنية والمهارات التي تم تناقلها في المجتمعات تشبه بعض بقايا المواد التي تم التنقيب عنها في دنقلا العجوز مثل السلال والفخار والأواني الخشبية. هذا وقد أدى التشابه سابقاً إلى الدفع بعجلة البحث الإثنومعماري (دراسة التقنية والمعرفة الحالية لفهم المواد السابقة)، مما أدى في الآونة الأخيرة إلى تنظيم نقاش لتبادل المعرفة بين السُكّان المحليين وعلماء الآثار.

على الرغم من انتهاء دور دنقلا العجوز كمركزٍ سياسي واقتصادي إقليمي، إلا أن المكان لا يزال يتطور في المجتمع الحالي، وفي العلاقات مع الناس الذين يعيشون حوله. إنه موقع أثري مهم بالإضافة إلى أنه موقع تراثي محلي يمثل الاستمرارية الثقافية.



من المسلم به هو أن مجموعة القباب في دنقلا العجوز تعود لأسلاف عائلات معروفة في هذه المنطقة.
(صور: ت. فوشيه)





القباب في مقابر المسلمين بدنقلا العجوز، المسجد في الخلفية. (تصوير: ت. فوشيه)



الموضوع الثاني: صناعة السلال - الحرف اليدوية التقليدية

تُعتبر صناعة السلال إحدى المهارات التقليدية التي تم تناقلها بين النساء في هذه المنطقة. وقد أسفرت أعمال التنقيب الأخيرة، في المنازل التي يعود تاريخها إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي، في دنقلا العجوز عن العديد من السلال التي صُنعت بتقنيات النسيج المشابهة لتلك التي يُمكن أن نجدها في المجتمعات المحلية اليوم. وما زالت النساء في الغدار تحافظ على امتلاك هذه المهارة الحرفية.

من بين المهام المنزلية الكثيرة والزراعة والمشغوليات الأخرى، تتمكن النساء من إيجاد الوقت لعمل أي شيء هن في حاجة إليه أو لديهن الرغبة في صنعه باستخدام المواد المتاحة محلياً. حيث تنمو الكثير من أشجار الدوم والنخيل في القرى المحيطة بدنقلا العجوز. وفي الغدار، تخرج النساء من البيوت لجمع أغصان النخيل ذات المظهر الأفضل والأكثر نضارة وشكلاً جيداً. وبعد جمعها، يتم تجفيفها تحت أشعة الشمس لمدة 6-7 أيام وتكون جاهزة للاستخدام. لصناعة الطبق، يتم استخدام نوعين مختلفين من الأشجار (النخيل والدوم)، أغصان النخيل التي هو أكثر نعومة تصنع منها خيوطاً رفيعة ملفوفة بخيوط أغصان الدوم الأقوى والأكثر سمكاً.

تُنسج أوراق أشجار الدوم و النخيل المجففة معاً لصناعة منتجات للاستخدام اليومي والاحتفالات والمراسم. السلال النموذجية التي يتم إنتاجها في المنطقة هي الطبق والبرش للاستخدام العائلي أو لبيعها في بعض الأحيان في السوق المحلية. الأشكال والألوان تميّز الاستخدام فعلى سبيل المثال، يتم استخدام خشب البتولا المستطيل الطويل والمُلَوّن لحفلات الزفاف، ولكن يتم وضع سجادة بنفس الشكل منسوجة بسعف غير مُلوّن فوق عنقريب (سرير خشبي) نقل المتوفى إلى القبر. عندما يكون البرش مستطيلاً كبيراً وملحقات به مستطيل أصغر، يتم استخدامه كسجادة. بالإضافة إلى المنتجات التقليدية، تستخدم بعض النساء في

بساتين النخيل في الغدار (تصوير: ت. فوشيه)



جمع السعف (الزعف) الأنسب لصناعة السلال (تصوير: م. ركوايتس)

حصيرة منسوجة ملونة (برش).
(تصوير: ت. فوشيه)



تعتبر صناعة الطبق (على اليسار) والبرش
(على اليمين) عملاً مضيئاً للنساء. (تصوير: ت. فوشيه)



باستخدام المهارات التقليدية، نساء الغدار
يبتكرن تصميماً جديداً لاستخدامات مختلفة
وسهولة النقل. (تصوير: ت. فوشيه)



الغدار مهاراتهم وإبداعهم في صناعة حقائب اليد من سعف النخيل. مع المشروع الأثري، قامت بعض النساء الأخريات بصنع طبق أصغر حجماً يسهل وضعه في حقيبة سفر للسيّاح.

هذا وفي السنوات الأخيرة أصبحت المهارات التقليدية مثل صناعة السلال أقلّ تقديراً، حيث أصبحت المنتجات البلاستيكية الجاهزة زهيدة الثمن متاحة بشكل متزايد. ولم تعد العديد من الفتيات الصغيرات مهتمات بتعلم هذه المهارة، غير أنه ومع ذلك تحدثت بعض النساء في الغدار عن أهمية المهارات والمنتجات التقليدية المختلفة لمجابهة الظروف الاقتصادية الصعبة. فالمواد الخام متاحة بسهولة، وعلى بعد خطوة واحدة فقط من المنزل وفي أغلب الأحيان تكون مجانية، لصناعة الأدوات المنزلية والأثاث والمباني. كما أن المنتجات التقليدية أيضاً صديقة للبيئة، وهي أمثلة رائعة للاستخدام المستدام للموارد الطبيعية. من الممكن أن تكون المعرفة والممارسات التقليدية مُنقذاً لمستقبلنا.

وأهمية أشجار النخيل كمصدر للغذاء والثروة، والمعنى الرمزي، والمعرفة، والروايات الشعبية بالإضافة إلى التقنية المرتبطة بالشجرة تم الاعتراف بها في القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية من قبل اليونسكو في عام 2019. وتُعتبر أشجار النخيل، المعرفة، المهارات والتقاليد والممارسات النابعة من السودان إلى جانب كل من البحرين، مصر، العراق، الأردن، الكويت، موريتانيا، المغرب، سلطنة عمان، فلسطين، المملكة العربية السعودية، تونس، الإمارات العربية المتحدة واليمن ذات أهمية كتراث للبشرية.

الموضوع الثالث: مكان البركة - فقير الموية

في شمال السودان، هناك بعض الأماكن التي تم التعرف على دورها الروحي المهم، وترتبط هذه الأماكن بالرجال المقدّسين والملائكة والبركة في التقاليد الصوفية. وكثيراً ما تتشكّل قُدية الأماكن من خلال الممارسة الروحية للمجتمعات المحلية. والقبة هي أحد الأمثلة على الأماكن مازال السكان المحليون حتى.المقدّسة حيث يقوم السُّكان المحليون بزيارتها لنيل البركة يومنا هذا يقومون بزيارات منتظمة لموضع يعرف بإسم (فقير الموية) الذي يعتقد الأهالي بأن له قدرات ذات قوى روحية، لا سيما لعلاج المشاكل الصحية. ويُعتقد أن الماء المتفجّر من نبع فقير الموية له قوة روحية معيّنة.

يقع (فقير الموية) بالقرب من موقع دنقلا العجوز الأثري بجوار أطلال قديمة لمبنى من الحجر، يقال أنه كان زاوية دينية. وهو مكان تطفو فيه المياه الجوفية على سطح الأرض، لذا جرت العادة بأن يرده سكان الغدار بغرض الحصول على هذا الماء. في السابق كان الماء مرئياً على سطح الأرض وكان من السهل أخذه. ومنذ بضع سنوات، أصبح من الصعب الوصول إلى مياه النبع بدون الحفر حوالي متر واحد في باطن الأرض، وفي الوقت الحاضر يرتادها قليل من الناس. كما أن هذا النوع من العادات التي تُعبّر عن الثقافة المحلية والدين لم يحظ بتقدير جيّد (أو بل حتى رفضه) في البيئة السياسية والدينية في العقود الماضية من الزمان.

ووفقاً لأسطورة محلية، هذا المكان مرتبط بسيدنا موسى. ويُقال إن فقير الموية هو المكان الذي وصل إليه موسى بعد أن عبر النيل ليلوذ بالفرار من فرعون، حيث قام بضرب صخرة وخرج الماء من الأرض ... وتكاد هذه الأسطورة المحلية تكون مطابقة لقصة معروفة في التوراة. وربما ارتبطت القصة بالمكان لإقناع الناس بقدسية المكان في المجتمعات المحلية.

الجانب الآخر المثير للاهتمام في هذه الأسطورة هو أن هناك بعض الحكايات الشعبية الأخرى المتعلقة بسيدنا موسى والمعروفة في أوساط النوبة، الناطقين باللغات النوبية (النوبية



فقير المويه هو مكان للبركة بالقرب من دنقلا العجوز (الموقع مشار إليه باللون الأخضر).
(تصوير(أعلى): ت. فوشيه: (أسفل): أ. خلبوفسكي)

والأنداندي). وتخبرنا قصة من عبري (التي تقع في اتجاه مجرى دنقلا العجوز) أن موسى وُلد في قرية سركاماتو الواقعة بين وادي حلفا وعبري، التي يُعتقد أيضاً أنها المكان الذي عبر فيه موسى نهر النيل. ووفقاً لعالم اللغات، ماركوس جيجر، يُعتقد أن والدة موسى نوبية وأنه قد وُلد في النوبة بين المتحدثين بلغة الأنداندي. وفي شمال دنقلا (الجديدة) توجد جزيرة تُسمى جزيرة موسى.

الموضوع الرابعة: شليل وبنو؟ - لعبة تقليدية من النوبة

كان الناس يقضون أوقاتهم في الهواء الطلق مع العائلة والجيران والأصدقاء في ليلة اكتمال القمر. وقبل دخول الكهرباء إلى القرى، وهو تاريخ ليس ببعيد، كان القمر يُضيء الشوارع ويتيح للناس فرصة زيارة بعضهم البعض والتجمع في الأمسيات. فقد كانوا يتجمعون ويجلسون معاً ويتسامرون لأوقات طويلة يتناولون خلالها الشاي والحلويات، ومن حولهم الأطفال يلهون ويمرحون. وغالباً ما كان الحديث عن ذكريات أوقات الاسترخاء والمرح هذه على أنها «أيام الزمن الجميل» في النوبة.

يجد الأطفال وسيلة للاستمتاع بأوقاتهم في الأمسيات المظلمة عند بداية الشهر القمري (طلوع الهلال). «حماة الغابة» لعبة تقليدية تُلعب في المنطقة المأهولة بالسكان الناطقين



يلعب الفتیان كرة القدم. (تصور: م. ركوايتس)

ويُعتقد أن الأسود والذئاب هم حماة الغابات. بلغة الأنداني، التي تشمل دنقلا العجوز. وقد روى حسن علي قبلي من مدينة الغدار كيف كان يتم لعبها بين الأطفال في الماضي. «ولك أن تتخيل كيف تلعب أشبال الذئاب والأسود بعظام الحيوانات التي قام أبائهم ببحث الأطفال أولاً عن عظم أبيض موضوع على الأرض. ثم يُقَسَّمون...» باصطيادها ذئب الغابة». يُحدد كل فريق «أنفسهم إلى فريقين؛ أحدهما يُسمى «أسد الغابة» والآخر منطقته الخاصة للحماية. ومن المفترض أن كل منطقة محمية بواسطة أسدين أو ذئبين ضخمين. تبدأ اللعبة عندما يُلقى أحد الأطفال بالعظم في الظلام، بعيداً عن المنطقتين، ثم يبدأ الأولاد في الفريقين في الجري قائلين « شليل !!» بينما يصرخ أسد الغابة، ذئب الغابة وينو؟»، وكلهم يبحثون عن العظم في الظلام. ويصرخ الشخص الذي وجده «شليل» ويحاول إعادته إلى منطقة فريقه بينما يقاتل الفريق الآخر لأخذ العظم. ويفوز الفريق الذي ينجح في إعادة العظم إلى منطقته ...

وعلى الرغم من أن هناك العديد من الألعاب الأخرى المعروفة في المجتمعات المحلية، إلا أن كرة القدم تبدو أكثر شعبية اليوم.

الموضوع الخامس: يوم الأربعاء على نهر النيل وفي القبة - طقس محلي

يُعتبر مولد طفل جديد في الأسرة مناسبة احتفالية. وفي هذا الجزء من السودان، تُقام سلسلة من العادات والطقوس للاحتفال وحماية الأم والطفل الجديد منذ ميلاده وحتى اليوم الأربعاء، وقد حدثنا قاسم حسن عن هذا التقليد.

جرت العادة والتقاليد أن تعود الأم إلى منزل والديها لتضع مولودها والبقاء بعد ذلك لمدة 40 يوماً. ويتم تزيين المدخل الرئيسي للمنزل بأغصان النخيل، ويقوم جميع الأقارب والأصدقاء والجيران بزيارتهم كل يوم -يُسمح للنساء والأطفال بتحية الطفل والأم والالتقاء بهما بينما يتم دعوة الرجال من قبل رجال المنزل إلى الصالون. يُقدم للضيوف الحلويات والتمر والقمح المحلي والكُشيق (نوع من البذور) والقهوة والشاي. تواتر الضيوف القادمون باستمرار ليس بغرض الاحتفال فقط. لا يُفترض خلال الأربعاء يوماً أن تُترك الأم والمولود بمفردهما، حيث يجب أن تلازمهما سيدة واحدة على الأقل والبقاء معهما لمنع الأم من الشعور بالخوف من الجن أو حدوث أشياء سيئة أخرى.

حالياً أصبح الموضوع في المستشفيات شائعاً بصورة متزايدة في السودان، كما أن عملية الموضوع والرعاية الصحية آمنة في المناطق الريفية. وفي الزمن الماضي كان يتم إعداد أشياء وعادات مختلفة لضمان سلامة وصحة الأم والوليد. وحسب العادة المُتبعة، تلزم الأم والطفل نفس السرير وفي نفس الغرفة لمدة 40 يوماً بعد مولد الطفل.

وكانت هذه الغرفة محمية بمسمار خشبي سميك عند المدخل المؤدي للغرفة وذلك لطرد الأرواح الشريرة. ثلاثة عناصر تعتبر هي العناصر الواقية وهي المصحف، السيف ومسبحة اليُسّر معظم حباتها سوداء وتفصلها خرز يتعدد ألوانه بالأحمر والأصفر والأخضر خاصة (سبحة والابيض مع بعض الفضة). وكان يتم تثبيتها لعمل مثلث على الحائط المجاور للعنقريب

يتجمعن النساء لمختلف مناسبات الجيران والأسرة
- الصورة من مراسم الزواج، الشيلة.
(تصوير: ت. فوشيه)



كُشيق. (تصوير: م. ح. سيد أحمد)



نهر النيل. (تصوير: ت. فوشيه)



(سرير خشبي) لتوفير الحماية للعنقريب الذي تُقيم فيه وتنام عليه الأم والطفل. وتحت السرير، يتم وضع سيف صغير أو فأس وبذور تمر وذرة. ولا يتم تنظيف الجزء السفلي من السرير حتى اليوم الأربعين. وفي كل يوم يتم إطلاق البخور، حيث يُطلق بخور اللبان (وهو مصنوع من مادة صمغ اللبان) صباحاً وبخور الشاف (وهو مصنوع من أخشاب الطلح وله رائحة عبقة) مساءً، ويتم ذلك عن طريق حرق البخور على الفحم ويستخدم الدخان لتطهير أو تنقية الغرفة. وتستخدم النساء المتزوجات بخور الشاف للدخان (ساونا الدخان السوداني) لتنعيم بشرتهن، وهو مهم بشكل خاص لإكساب البشرة نعومة والعضلات مرونة بعد عملية الوضع.

خلال الـ 40 يوماً تُقام أيضاً سلسلة من الاحتفالات، ففي اليوم الثالث من الموضوع يتم ذبح شاة صغيرة (سحلة) كذبيحة بمناسبة الموضوع الصحي للأم (سلامة الرقبة)، حيث يُعتبر أن صحتها في هذا الوقت لم تعد في خطر من مخاطر الموضوع. ويُسمى اليوم الثامن السماية (العقيقة). يقوم شيخ القرية بزيارة المولود في الصباح الباكر ويردد له الأذان في الأذن اليمنى والإقامة في الأذن اليسرى كي يتذكر الطفل اسمه. ثم يضع الشيخ تمر رطبة وسكر في فم الطفل ليتمنى له أن يكون شخصاً لطيفاً لا يتحدث إلا عن الأشياء الجيدة. ويتم ذبح شاة (أو إثنين إذا كان المولود توأم) ويتم دعوة جميع الجيران والأصدقاء لتناول الإفطار.

يُعتبر اليوم الأربعين من الموضوع هو تاريخ مهم على وجه الخصوص. وتبدأ الأسرة في اليوم التاسع والثلاثين بالتحضير والإعداد للاحتفال بعيد الأربعين (يوم الأربعين). تتجمع نساء القرية في منزل الأم لخبز المعجنات والزلابية (اللقيمات السودانية) وحضور الاستحمام الأخير (التنظيف بالماء) للأم وطفلها. وبعد ظهر اليوم الأربعين، تتجمع النساء والأطفال في المنزل ويبدأون المسيرة إلى نهر النيل، الذي يرتبط بمعنى رمزي وروحي حيث يُعتقد أن الملائكة يسكنون فيه. وعلي الطريق المؤدية إلى النهر تتوقف الأم والطفل للقيام بأول زيارة للمسجد للصلاة ثم يواصلان المسير. تقوم كبار السن من النساء بإلقاء الحلويات و

ويعتقد أن هن يؤدين الأدعية والأبتهالات الدينية.حبوب الذرة و القمح في مياه النيل و ملائكة نهر النيل تحب ذلك.

بعد الطقوس على النيل، في الغدار، تنتقل المجموعة إلى القباب في دنقلا العجوز. يذهب البعض إلى قبة مرتبطة بأسرهم. وإذا لم يكن للعائلة أحد، يقومون بزيارة قبة أخرى. في المقبرة حيث تقف القبة تقوم النساء في المجموعة بمسح/دلك بعض الرمل، المأخوذ من قرب القبر داخل قبة الأسرة، على رقبة الأم ثم الطفل أثناء قيامهن بتلاوة أدعية خاصة. وتأخذ النساء بعض الرمل من نفس القبر للتبرك. وبعد مراسم الاحتفال في المقابر، تعود المسيرة إلى منزل الأم وتنتهي الطقوس. وتنتهي الطقوس، ثم بعد ذلك لا تعد الأم ملزمة بالبقاء في نفس الغرفة وفي نفس السرير.